Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لسعة جفرته، واستفاضة خاصرته مدوراً، وكان جعد الأطراف قصير الأصابع، وهو في ذلك يدعي البساطة والرشاقة. . وكان طويل الظهر، قصير عظم الفخذ، وهو مع قصر عظم ساقه يدّعي أنه طويل الباد، رفيع العماد، عالي القامة، رفيع الهامة، قد أعطى البسطة في الجسم، والسعة في العلم، وكان كبير السن، متقادم الميلاد، وهو يدعي أنه معتدل الشباب، حديث الميلاد. وكان ادعاؤه لأصناف العلم قدر جهله بها، وتكلفه الإنابة عنها على قد غباوته فيها. . .».

فلما طال ذلك منه لم ير الجاحظ بداً من أن يكشف قناعه، ويدحض ادعاءه، ويعلن للملأ جهله، فبعث إليه بهذه الرسالة التي ضمنها مائة سؤال في مختلف العلوم، وهو على يقين أنه لن يحير جواباً. بدأها بقوله ساخراً:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أطال الله بقاءك، وأتم نعمته عليك وكرامته لك. قد علمت ـ حفظك الله ـ أنك لا تحسد على شيء حسدك على حسن القامة، وضخم الهامة، وعلى حور العين، وجودة القد، وعلى طيب الأحدوثة، والصنيعة المشكورة، وأن هذه الأمور هي خصائصك التي بها تكلف، ومعانيك التي بها تلهج، وإنما يحسد ـ أبقاك الله ـ المرء شقيقه في النسب، وشفيعه في الصناعة، ونظيره في الحوار، على طارف قدره، أو تالد حظه، أو على كرم في أصل تركيبه، ومجاري أعراقه. وأنت تزعم أن هذه المعاني خالصة لك، مقصورة عليك، وأنها لا تليق إلا بك، ولا تحسن إلا فيك، وأن لك الكل، وللناس البعض، وأن لك الصافي، ولهم المشوب، هذا، سوى الغريب الذي لا نعرفه، والبديع الذي لا نبلغه.

فما هذا الغيظ الذي أنضجك؟ وما هذا الحسد الذي أكمدك،؟ وما هذا الهم الذي قد أضناك؟ وهل رأيت أخسر صفقة، ولا أوهن قوة ممن يجري العتاق مع الكوادن، والروائع مع الحواسر؟».

وما يكاد يقسو عليه هكذا؛ حتى يبتسم له من جديد، ويطمعه فيه بعد يأس، ويوهمه أنه يمدحه من حيث يحرص على ذمه. . . فيقول: